قراءة في قصة همس الجنون لنجيب محفوظ

د.علي عمران

قسم اللغة العربية و الدراسات العامة /الجامعة الأهلية _ مملكة البحرين

ملخص البحث

تقع هذه الدراسة في مقدمة و مبحثين اثنين: الأول: تحليل عنوان هذه القصة و هو"همس الجنون" ،وقد جعلناها في عتبات لغوية عرجنا فيها على المعنى اللغوي للهمس ثم تناولنا بعد ذلك الإعراب و الجانب المعجمي ، و عملية تكوين العنوان من الوحدتين المعجميتين (الهمس + الجنون) و ما دلالة ؟ ذلك لنخلص إلى ربط كل هذه العتبات اللغوية وجوانبها الفنية الموجودة في العنوان بالنص.

وقد تطرقنا في المبحث الثاني إلى مضمون القول من حيث خصائص الوصف، و الفواعل (الشخصيات) ووظائف الراوي، و أخيرا مقول القول الصراع في قصة همس الجنون و القائم أساسا على قضية الحرية و التحرر من القيود المكبلة للأعناق البشرية بما فيها للاستعمار و الاستبداد.وفي خاتمة الدراسة بعضا من النتائج و قائمة المصادر و المراجع.

Abstract

Reading in the story of the Fates by Naguib Mahfouz

This study lied in the introduction and two sections: the first: an analysis of the title of this story, which is, "he whispered madness" has made it in the thresholds for linguistic where linguistic meaning to whisper, to address, and expressed and the lexical and the process of configuring the address of the two units (whisper + madness) and What is the significance? To conclude to link all of these thresholds linguistic and technical aspects of the text.

We have mentioned also to the content of the second section according to the descriptive analysis, and other actors (characters), and finally the conflict in the story of the Fates which based mainly on the cause of freedom and liberation from the constraints of the necks of human including colonialism and tyranny.

At the conclusion of the study, we review some of the results, list of sources and references.

مدخل

تصور قصص نجيب محفوظ رحلة من الحرمان الاجتماعي الذي تعاني منه الطبقة (البسيطة) والطبقة المسحوقة الفقيرة في مجتمعنا وما فيها من اضطرابات لها علاقة بالحياة اليومية، وأفكار، وفلسفات، ونزاعات وأحزان وهموم و نلاحظ ان طابع الحزن بذات يلازم قصص نجيب محفوظ كما يلازم نفسية الكاتب أيضاً ، فما يعني أن أثر شخصه في القصة كان أثراً طاهراً، وقد فسَر محفوظ طابع الحزن في قصصه بالتالي :

" إنني لم أتعمد الحزن، لكنني حزين بالفعل، لأنني من جيل غلب الحزن عليه، حتى في لحظات البهجة، وليس من سعيد بهذا الجبل إلا غير المبالي من الطبقة العالية من الناس "إنّ نجيب محفوظ إنسان نابع من صميم الشعب، اهتم بهمومه، و كتب عن هذه الفئة لأنّه ينتمي إليها وهي تمثل غالبية الشعب العربي المصري، و على الرغم من استقراره العائلي الذي كان سائدا في بيتهإلآ أنه كان يعي الظروف القاسية التي كانت سائدة في المجتمع المصري و هموم الشعب.لذا نرى في مجموعة قصصه صراع الفئات الطبيعة في المجتمع سواء الفقيرة أو غيرها.و سننطلق في تحليلنا لهذا النص القصصي من عنوانه أولاً، ثم نعرج على النص ثانياً.

هذا و نأمل أن نكون من الموفقين في عرض النص القصصي هذا وتحليله، وإبراز أهم عناصره في تصميم قد بنيّنا الأطر التي سوف يحتضنها تحليلنا هذا الذي نرجو من الله التوفيق فيه و السداد.

عتبات عنوان النص

همس الجنون: (الهمس) هو الصوت الخفي، وكلُّ خفي أو أخفى ما يكون من صوت القدم، و(الجنون) من جنّ إذا زال عقله أو أفساد فهو مجنون.

فكلمة (همس) مبتدأ مرفوع و علامة رفعة الضمة الظاهرة على آخره و هو مضاف، (والجنون) مضاف إليه، والنص خبر لهذا المبتدأ، أو أن يكون (همس) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هذا)، ويكون الكلام تقديرا (هذا همس الجنون).و في كلتا الحالتين أنت محتاج إلى معرفة الخبر الذي هو النص. نلاحظ أن العنوان (همس الجنون) مكتوب باللون الأسود القائم تمييزا له عن المحتوى النص المكتوب باللون الأسود الباهت، و هو موضوع في وسط الصفحة في مكان بارز، و بخط الرقعة.

يتكون العنوان (همس الجنون) من وحدتين معجميتين ألاّ و هما (همس الجنون) و الملاحظ أن الوحدة المعجميّة الأولى (همس)غير معرفة بـ(ال) بينما الوحدة المعجميّة الثانية نجدها معرفة بـ(ال) فكأنّ الوحدة الأولى (همس) نكرة عرّفها الوحدة المعجمية الثانية و هي (الجنون) فاكتسبت منها التعريف،

وذلك أن إضافة النكرة إلى المعرفة يكسبها التعريف الذي يريد الكتاب من خلاله بث هذا الهمس الجنوني إلى القارئ أو قُلْ المتلقي.

مضمون القول :

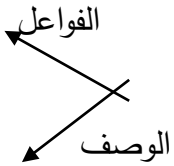

مقول القول :

النص : (همس الجنون)

سنتناول في تحليلنا لهذه القصة اثنين من أبرز الجوانب نحسبها غايةً في الأهمية، وهي مضمون القول وتبقى الجوانب الأخرى مفتوحة لمن أراد أن يسلط الضوء عليها في بحثٍ مستقلٍ آخر.

اما الجانب الأول فهو مضمون القول و فيه نتناول بالتحليل الوصف في الرواية، ثم نتناول في الجانب الثاني الفواعل في القصص التي طرحها الكاتب. حيث لا نجد اسماً لشخصية معينة أي أنه لم يذكر اسم الشخصية، وإنما جعلها عامة فلماذا؟ و أخيرا سنتناول الصراع في قصة همس الجنون، و لنقف على نمط حياة الفئة الفقيرة، و كيف صورها الكاتب؟ و إلى أين يريد أن يصل بها؟

- **خصائص الوصف:**

الوصف هو وقوف عند ملامح خارجية للموصوف.

والموضوع الوصفي الواحد ينشأ عند عدد غير محدود من الموضوعات القابلة للوصف' لذلك نجد الكاتب أحياناً' يتوقف عند بعض الملامح' ليتابع الرد سيره' ثم يعود مرة أخرى إلى ملامح الموصوف' وهكذا إليك' حتى تكتمل صورة.

فلقد اعتمد الكاتب في قصته كثيراً على الوصف فمرَ على ملامح الموصوف الخارجية ومرة أخرى على الشخص نفسه وملامحه الموصوف الداخلية، فهو في البداية بدأ بوصف هذه الحالة التي طرأت على بطل هذه القصة. "كانت رحلة إلى عالم أثيري، عجيب، مليء بالضباب"،علماً بأنّه حاول أن يسلط عليها بصيصاً من نور ذاكرة ولت هاربّة وقد ابتلعتها الظلمة ثم إنّه يواصل الوصف فيصف الشحص نفسه ، فيقول: " كان إنسانا هادئا أخص ما يوصف به الهدوء المطلق".

"كانت لذته الكبرى أن يطمئن إلى مجلس منعزل على طوار القهوة فيشبك راحتية على ركبتيه" "كان تمثالاً من لحم و دم يلوح كأنما يشاهد النأس".

ثم يسترسل الكاتب في الوصف في كل جوانب القصة.

- **الفواعل:**

لم يذكرالكاتب اسم الشخصية وجعلها عامة يحتمل وجودها أي مكان وأي زمان. حيث قال الكاتب "صاحبنا" دون اي توضيح آخر عن هذا الصاحب، يجرنا الكاتب هنا للتساؤل كيف استطاع أن يشرح و بالتفصيل دفائق الأمور أي كلَّ ما اختلج في نفس هذا الصاحب من أحاسيس ومشاعر و رغبات كانت في البداية الأمر محكمة لا يستطيع أن يعلمها أي انسان كان حتى صاحبها نفسه.

" **وظائف الراوي:**

يمكن جعل وظائف الرّاوي في ثلاث، هي:

1 . **الوظيفة الوصفيّة**، الّتي يقوم فيها (الرّاوي) بتقديم مشاهد وصفيّة للأحداث، والطبيعة، والأماكن، والأشخاص، دون أن يُعلم عن حضوره، بل إنّه يظلّ متخفيًا، وكأن المتلقي يراقب مشهدًا حقيقيًا لا وجود للراوي فيه.

2 . **الوظيفة التأصيلية**، وفيها يقوم الرّاوي بتأصيل رواياته في الثقافة والتاريخ، فهو يجعل منها أحداثًا للصراع القومي، ويربطها بمآثر قومه المعروفة في الانتصار على الخصوم.

3 . **الوظيفة التوثيقية**، وفيها يقوم بتوثيق بعض رواياته، رابطًا إياها بمصادر تاريخية، زيادة في إيهام الرّاوي، إنّه يروي تاريخًا موثّقًا.

إنّ (هيئة القصّ) تبيّن (الرّاوي) وما يرويه، وتبيّن علاقته بمن يروي عنهم، وهو فهمٌ يتجاوز موقفًا كان سائدا، يرى أنّ القصّة الّتي يكتبها كاتب ما هي تعبير عن شخصه؛ وبذلك كانت دراسة القصّة تتحوّل إلى دراسة كاتبها، فيُهمل البحث عند ذاك في الشّخصيات، من حيث استقلالها وتمايزها؛ وهو أمر بالغ الأهميّة... ولكن مع تطوّر الكتابة الروائية، وتطوّر النّظرية النقدية باتّجاهاتها المختلفة، ظهر ميل إلى وضع الكاتب/ الروائي خارج نصّه، أو ربما قطعه عنه؛ لذلك تميّز النّظريات الحديثة بين الرّاوي والكاتب. فـ(الرّاوي) وسيلة أو أداة تقنية يستخدمها الكاتب؛ ليكشف بها عالم قصّه، أو ليبثّ القصّة التي يروي. و(الكاتب) يختبئ خلف الرّاوي، ويحيّد نفسه، فيقدّم نفسه إلى القارئ مجرد ناقل للمروي، وعلى هذا تسقط مسؤولية الأديب، وتنتقل الكتابة إلى موقع الشهادة، فتتحدّد في كونها (شهادة) على زمنها وواقعها الثقافي فحسب.

ومن ثمّ اتجهت الدّراسة إلى عدم المماثلة بين الكاتب/ الروائي وشخصياته الروائية." فالقصّ ليس بالضرورة قصًّا عن الذات، أو تعبيرًا عن الكاتب، وعلى هذا فإنّ الروائي/ الكاتب لا يمثّل أيًّا من أشخاص قصّته، أو على الأقل لا يمثل تمامًا أيًّا من أشخاص روايته ".[2]

ولقد تفنّن الكتّاب في استخدام مفهوم (الرّاوي)، تبعا لرؤيتهم عن (الرّاوي)، وعلاقتهم بما يروون. فجاءت كيفيّة ما يروون دلالة على رؤيتهم لما يروون. ولجأوا إلى تنويع الرّاوي في العمل الروائي الواحد، وفق ما يقتضيه سياق السّرد، كأن يترك الرّاوي الّذي يروي بضمير (الأنا) مكانه، في مفصل من

مفاصل الرِّواية، للراوي (الشّاهد) الّذي ينقل ما يقع عليه نظره فقط.[3]

كما حدّد (جنيت) في كتابه (أشكال 3) أنواع الرواة في اثنين:

1 . راوٍ يحلل الأحداث من الدّاخل، وهو نوعان: بطل يروي قصته بضمي (الأنا) فهو راوٍ حاضر. وكاتب يعرف كل شيء فهو راوٍ كلّي المعرفة على الرغم من أنه راوٍ غير حاضر[4].

2 . راوٍ يراقب الأحداث من خارج. وهو أيضًا نوعان: راوٍ مشاهد فهو حاضر ولكنّه لا يتدخل. وكاتب يروي ولا يحلل، فهو غير حاضر، ولكنّه لا يسقط المسافة بينه وبين الأحداث[5].

أمّا (تودوروف)، و(جان بويون) فقد ميّزا ثلاثة أنواع من الرّواة[6]، هي:

1 . راوٍ يعلم أكثر من الشخصية (الرؤية الخلفية): " فهو يرى عبر جدران البيت كما يرى عبر جمجمة بطله، ولا تخفى عليه أسرار شخصيّاته، و لا يهمّه أن يفسّر كيفيّة حصول هذه المعرفة "[7].

فهو راوٍ عالم بكل شيء في عالم الرِّواية، وهو يحول بين القراء والعالَم الروائي، فلا يجعلهم يرون إلا ما يريهم هو إياه، ولا يعلمون إلا ما يريدهم أن يعلموه.

أما الشخصيات فتقوم بفعل الأحداث دون أن تعلم المصائر المجهولة الّتي تنتظرها؛ لأنها لا ترى إلا ما تقع عليه عيونها فقط. فهي مخلوقات محدودة العِلْم والخبرة. وأما (الرّاوي) فهو القوة الخارقة الّتي تُكشف أمامها الحجب.

2 . راوٍ يعلم بقدر ما تعلم الشخصية (الرؤية المحايثة): " تتطابق في هذه الحالة معرفة الرّاوي مع معرفة الشّخصيّات، ولا يمكنه أنْ يقدّم إلينا تفسيرا للأحداث قبل أنْ تجده الشّخصيات ذاتها."[8].

وهو الرّاوي الّذي أطلق عليه جان بويون الرّاوي الّذي لا يعلم إلا ما تعلمه الشخصيات[9]، وهو الّذي لا يتجاوز حدود الشخصيات في الرؤية. فإذا فعلت الشخصية فعلاً، أو اتّصفت بصفة، فإن الرّاوي يُقدم فعلها أو صفتها.ويمكن تحديد الرّاوي الّذي لا يعلم إلا ما تعلمه الشخصيات في شكلين: الأول أن يكون الرّاوي مشاركًا في أحداث الرِّواية أو شاهدًا عليها. والآخر أن يتخذ من إحدى الشخصيات أو من أكثر من شخصية مرايا تعكس الأحداث[10].

3 . راوٍ يعلم أقل مما تعلمه الشخصية (الرؤية الخارجيّة): في هذه الحالة يعرف الرّاوي أقلّ من أيّة شخصيّة من الشّخصيّات، ولا يستطيع أنْ يصف سوى ما يراه أو يسمعه... فالرّاوي إذن شاهد لا يعرف شيئًا، بل أكثر من هذا، شاهد لا يريد أنْ يعرف شيئًا "[11].

وهو الرّاوي الّذي يعلم أقلّ مما تعلمه الشخصيات، سواء أكان هذا الرّاوي واحدًا من شخصيات الرِّواية، أو من المشاهدين، أم من المستقلين، متخذًا لنفسه مستوى زمانيًا أو مكانيًا أو إيديولوجيًا خاصًا به[12]."[13]

فهذه الشخصية كما يبدو من خلال القصة شخصية أرادها الكاتب أن تكون متحولة متغيرة من السلبية إلى الإيجابية أو قُلْ الجنون و المفهومِ الخاطئ لمعنى الحرية، فالحرية هنا هي ضرب من الفوضى و الإعتداء على حرية الآخرين. فعلى الرغم من معرفتنا بغرض الكاتب انه اعطى اسم القصة همس الجنون إلاَ أنّه لم يقل كل الجنون، فالذي قصده هو جنونٌ وقتيٌ.

و نرى الكتاب قصتة بتعريف خاص لماهية الجنون "ما الجنون؟؟" ثم يتبعه بالإجابة من وجهة نظره "إنه فيما يبدو حالة غامضة كالحياة و كالموت." لقد اختار هذا القاص من الألفاظ ما يدل على ان هذه الفترة كانت جزءاً جميلاً من حياته لكأنه كان يحاول الاحتفاظ بها. ثم عندما ذهبت أي انتهت أذهب معها الألم ولكنّها كانت مقترنه بِلذة ، فكلمة "ضاعت" في حدّ ذاتها تعبير عن أنّ هناك شيء جميل ذهب دون أي رغبة لنّا في صرفه ثم أنه يقول عن تلك الفترة بأنها سحرية و ضاعت تلك الفترة "السحرية" ليؤكد لنا مرة أخرى بأنّ تلك الفترة كانت مختلفة و كأن كل ما حدث سحر. فعلاً كأنها فترة سحرية فعندما يفعلالانسان ما يريد يكون هذا ضرباً من السحر. نرى ان الكاتب في هذه الفترة يستخدم أسلوب الإستفهام كثيراً ليُهيَـىء القارئ إلى التفكير في كل ما يقوم به البطل. لأن الإستفهام هو أول أبواب الفهم، او كما يقول النحاة "هو طلب الفهم".

"ما الجنون"؟! ترى كيف حدث؟ متى وقعت؟ كيف أدرك الناس أن هذا العقل غدا شيئاً غير العقل؟ و أن صاحبه أمسفرداً شاذاً يجب عزله بعيداً عن الناس كأنه الحيوان المفترس؟!

كما نلاحظ ان هذه الفقرة تحتوي على تشبيه في قوله كالحياة و كالموت فهو هنا يشبه الجنون بأنه شيء غامض لا يُعرف كنهه كالحياة و كالموت، فهي في عداد المجهولات كذلك الجنون يصوره الكاتب بمجهول.

بالإضافة للتشبيه توجد مقابلة. و أيضاً يوجد تشبيه أخر في قوله "كأنه الحيوان المفترس شبه البطل في حالة جنونه بالحيوان المفترس كما توجد أيضاً جملة اعتراضية – قصيرة كانت و الحمد لله – الغرض منها التوكيد و تقوية الجملة.كما نلاحظ أيضاً أن الكتاب من خلال الشخصيات يناقش اختلاف الطبقات الاجتماعية، فالقضية قضية قديمة و كبيرة و هي قضية اختلاف طبقات المجتمع و المعاناة التي تعانيها بعض هذه الطبقات فأكثر المجتمعات تنقسم إلى قسمين مجتمعات غنية ثرية تعاني من التضخم في كل شيء و مجتمعات فقيرة معدمة تعاني من الحرمان من كل شيء، هذا التفاوت في طبقات المجتمع أدى إلى وجود عدة قضايا فرعية. فالقضية الأساسية التي تولدت من هذا التقسيم هي قضية الفقر و الجوع.و ما يتبعه من مآسي و مصائب فالجوع كما يقال كافر، قد يدفع الإنسان إلى قضايا أخرى كالسرقة و القتّل و التحلّل الخُلقي، كما إنّ هذا التفاوت قد يؤدي إلى الحقد و الحسد بين أفراد المجتمع و هذه الأحقاد قد تؤدي إلى أبعد ما يمكن أن نتصوره من تفكك في هذا المجتمع.فصاحبنا يمر على أحد المطاعم و يرى

على احدى موائده مالذَ و طاب من الطعام لرجل و امرأه بينما على الطرف الآخر من هذا المنظر جلست جماعة من غلمان السبيل، عرايا إلاّ من أسمال بالية تغشى وجوهم وعلى بشرتهم طبقة غليظة من غبار و قذارة و من خلال هذين المنظرين ان يعبر الكاتب عن قضية اختلاف طبقات المجتمع. فهو يقول:

"قلم يرتح لما بين المنظرين من تنافر" فكلمة "تنافر" هنا تفيد الكاتب كثيراً في توضيح قضيته فالتنافر يعني التباعد و استحالة الإلتقاء بين الطرفين و ما استحال الإلتقاء إلا لإختلاف و بعد كبيرين، ثم يلجأ الكاتب إلى مناقشه الحقوق الإسلامية كحق الغني على الفقير، فيقول:"و لكن الأكلين لا يتنازلان عن شيء من هذه الدجاجة التى أمامهما بسلام هذا حق لا ريب فيه".

يناقش الكاتب هنا حق الزكاة و كيف أنّ الأغنياء يمنعون الفقراء من حقوقهم فكلمة لا يتنازلان عن شيء تبين بوضوح هذا المعنى، ثم ان الكاتب يقول بعد ذلك "هذا حق لا ريب فيه" و هذه الجملة إنّما قالها ليؤكد بها إغفال الأغنياء و نكرانهم لحقوق الفقراء و المساكين. ثم يعود الكاتب ليذكرنا مرة أخرى بأنّه يتكلم عن إنسان به همس من الجنون. فيتساءل هل ثمة مانع يمنعه من تحقيق رغبته؟"... هيهات ، وربما كان التردد ممكنا في زمن مضى " أي قبل أن يبدأ به هذا الجنون وأما الآن فإن صاحبنا لا يتردد عن فعل أي شي.بعد أن ناقش الكاتب قضية الفوارق الطبقية انطلق من خلال مجنونه ليناقش قضية الغرور والتكبر وإحتقار الآخرين ." وكان جسماً ضخماً واوداجاً منتفخة يسير مرفوع الرأس في خيلاء"،"ملقيا على من حوله نظرة ترفع وازدراء"،"تنطلق كل حركة من حركاته وكل سكناته بالزهو"،" وكأنما يثير الخلق في نفسه ما تثيره الديدان في نفس رقيقه مرهفة الحس".

هذه الكلمات توضح قضية الغرور والتكبر واستصغار الناس واحتقارهم من خلال الرجل الذي رآه في المقهى.

فهو حينما يقول :" كأنما يثير الخلق في نفسه ما تثيره الديدان في نفس رقيقه مرهفة الحس" يبين لنا مدى هذا الغرور للناس وكأنما هم في نظره حشرات أو ديدان تشمئز النفس عند رؤيتهم .

فهذه قضيه قد تبدو هينة أو سهلة إلا إنها في منتهى الخطورة فالغرور والتكبر له من الآثار الكبيرة في تفكك المجتمع. فعندما ننظر لكل ما حولنا وكل ما حولنا نظرتنا للديدان فإن هذه النظرة كفيلة بنشر الحقد والكراهيةبين الناس. وبالتالي لك أن تتصور ما يثير الحقد والكراهية وما تنشره الكراهية من آلام في أي مجتمع.فالكاتب يدعو هنا إلى التواضع وعدم الترفع على الناس وعدم استصغار الآخرين كما يدعو إلي مجتمع متحاب متعاون الكل فيه سواسية،وليس هناك ما يدعو الإنسان إلى أن يرفع نفسه إلى السماء ويحط من أقدار الناس في الحضيض الأسفل.ثم ينطلق الكاتب إلى قضية أخلاقية شائكة. يحدثنا عن التفسخ الأخلاقي من خلال الحسناء التي تمشي في الشارع متأبطة ذراع رجل أنيق المنظر.ترفل في ثوب رقيق شفاف تكاد حلمة ثديها تثقب أعلى فستانها الحريري .هذا المنظر يثير الغرائز الكامنة في الرجال .فعندما تسير امرأة جميله في الشارع تظهر جسمها أكثر مما تخفى وتبرز مفاتنها بهذه الطريقة الواضحة

فإنها حتماً ستثير الغرائز والرغبات المكبوته فلا عجب أن يتصرف مجنونه هذا التصرف "فخطر له أن يغمز الحلمة الشاردة ".

ومد يده بسرعة البرق ، وقرص . إن أعقل العقلاء وعندما يرى مثل هذا المنظر لابد أن يتمنى دخيلة نفسه أن يفعل أكثر من ذلك وقد يستعد للتنفيذ ولو لا شيء من العقل. ويبقى هذا المنظر يلازمه يثير في نفسه ما يثيره ويوقظ ما يوقظه من مشاعر وغرائز مكبوته .فكيف بمجنونه. ثم إن الكاتب يقول"وكان عقله وجنونه يفكر بسرعة خياليه" .

هذه الجملة تدل إن المجنون في منتهى العقل ،إن الكاتب يؤكد ذلك .كان عقله أو جنونه يفكر بسرعة خياليه .فكلمة عقله تدل على انه إنسان عاقل على الرغم من انه اعترض كلمته(أو جنونه)إلا انه (يفكر بسرعة خياليه)فالمجنون ينتفي عنه التفكير لان التفكير من ميزات العقلاء وليس المجانين .ثم نأتي للمقطع الأخير عندما ضاق المجنون بملابسه متحرر منها أمام الناس وهنا يعود بنا الكاتب مرة أخرى إلى قضيه الحرية .

فهو يطلب الحرية التامة المطلقة بحيث يتحرر الإنسان من كل القيود التي تكبله،فالكاتب يوضح المفردات لبيان قصده وبلوغ هدفه فهو يقول:"وعاد يتسأل لماذا يدع نفسه سجيناً في اللفائف لتشد على صدره وبطنه وساقيه ".

فكلمه سجيناً توضح الحاله التي نعيشها من انعدام الحرية ،فكأننا نعيش في سجن مغلق كل ما فيه يكدرنا ويثقل علينا.

فالكاتب يوضح مدى ما يعانيه من قيود وثقل على صدرنا فلا نستطيع لتنفس بحريه ولا الأكل فهي تشد على بطوننا فلا يمكننا أن نأكل بحريه ، وتثقل على ساقنا فلا يمكن أن نذهب إلى أي مكان نريد،هو السجن التام ، والعبودية المطلقة إذن .

والكاتب يدين أن صاحبنا قد تحرر من كل القيود التي كان متقيد بها وترك عنه الخمول والكسل وعدم المبالاة .وأصبح فرداً يعيش في المجتمع يشارك فيه ويتفاعل معه " فلم يستطع معها جدا".

"حتى تخلص منها جميعاً" "فبدأ عارياً كما خلقه الله " وكأني بالكاتب هنا يريد أن يقول فبدأ حراً كما خلقه الله ،ثم نرجع مرة أخرى إلى النهاية لماذا اختار الكاتب هذه النهاية له .لماذا جعله ينتزع ملابسه قطعة قطعة في الشارع وامام الناس بالاضافه لحاجته إلى توضيح معنى الحرية أراد أيضا أن يقول لا تلوموني فيما اكتب وأقول فيما أطالب من حرية إنما هذا مجنون لا يعقل ماذا يفعل.

<u>مقول القول الصراع في قصه همس الجنون :</u>

يبدو الصراع واضحاً في هذه القصة إذ نلاحظ كيف تعيش الفئة الفقيرة نفسها صراعاً مع الآخرين من اجل الحصول على المال، والوصول إلى المستوى المعيشي الأفضل لكي تتغلب فيه على الفقر والجوع".

قال فؤاده بعزم ويقين "ينبغي أن يأكل الغلمان مع الآخرين "

" ..... اقترب من المائدة بهدوء ومد يده إلى الطبق متناولاً الدجاجة ثم رمى بها على أقدام العرايا وقد عاوده شعور عميق بالسعادة والطمأنينة فكأنه لم يأت امراً منكراً ".

نلاحظ أنّ هذا الصراع حدث فجأة بشخص كان الهدوء المطلق أخص ما يوصف به , و الإنسان جامد كسول , و زاهد في الناس و النشاط , إنسان مستواه العلمي متوسط و ثقافته العامة بسيطة. "كان تمثالا من لحم و دم يلوح كأنما يشاهد النّاس . و هو بمعزل عن الحياة جميعاً ".

إنها السلبية التامة و الانعزال عن المجتمع , ثم يبدأ الصراع في هذه النفس , هذا الإنسان السلبي فجأة قرر أن يعيش في هذا المجتمع و يتفاعل معه . و لأنّه شخص غير معتاد على التفاعل مع قضايا المجتمع و لأنه كما ذكر شخص سلبي , فإن تفاعله هذا جاء غير طبيعي . هذا الشخص أراد أن يتكلم ,أن يبدي رأيه فيما يراه خطأً كبيراً في هذا المجتمع , و لكن كيف له ذلك و هو ما اعتاد على إبداء الرأي أو حتى الاعتراض , ثم ماذا؟!

" حدث في الماء الآسن حركة غريبة فجائية , كأنما القي فيه بحجر"

في هذا المقطع يبدأ التأزم و يتضح الصراع في نفس البطل فجأة تبدأ الحركة و يحاول بطلنا إزالة هذه السلبية و المشاركة في الحياة الاجتماعية و السياسية .

نلاحظ اختيار الكاتب لهذه الشخصية ليظهر من خلالها المشاكل الاجتماعية , فهو هنا يستخدم الرمز . و يتبع طرق الأولين كما في كتاب كليلة و دمنة, فهي قصص على لسان الحيوان لكنها تطرح قضايا اجتماعية و سياسية أتخذها الكاتب بهذا الأسلوب لحماية نفسه تماماً كما في قصتنا المجنون , فالكاتب أطلق على قصته هذا الإسم و جعل من بطلها " مجنونا" حتى يناقش القضايا الاجتماعية و السياسية دون خوف أو وجل , إختار كاتبنا شخصية سلبية لتقوم بعد ذلك بحركات يبدو فيها الجنون المطلق . فعندما يتحول السكون فجأة إلى حركة قوية يبدو ذلك غير طبيعي إطلاقا .

ننتقل بعد ذلك للقضايا التي حاول الكاتب مناقشتها من خلال هذه الشخصية , و هي قضايا رمزية تعبر عن النظام المكّبل لهؤلاء من أن يتمتع بالحرية العادلة و الإنسانية الحقه , و الديموقراطية المطلوبة . " ليس الإنسان حراً"

الحرية : عالجت قصة "همس الجنون " قضية الحرية , حيث يتساءل بطل القصة حول ربطة العنق و في التحرر منها , ومن ثيابه , و لعل الكاتب رمز بهذه العبارات إلى التحرر من القيود المكبلة للأعناق البشرية بما فيها الإستعمار و الإستبداد. "ما فائدة هذه الربطة" " ما حكمة تكفين أنفسنا على هذه الحال المضحك" , لماذا لا نخلع هذه الثياب و نطرحها أيضا ؟ لماذا لا نبدو كما سوّانا الله ؟

نرى الكاتب قد ركز على فكرة الحرية تركيزاً كبيراً , و استخدام الكثير من الألفاظ التي تدل على كرهه للإستبداد و الأستعمار كقوله: كبر عليه أن يرضى بقيد على رغمه : فكلمة قيد أكبر معبر عن معنى العبودية و الإستعمار .

ثم تساؤله في قوله أليس الإنسان حراً يوضح هذا التساؤل مدى تعطش صاحبنا إلى الحرية و حرمانه منها , ثم تبع تساؤله بقوله بعد تفكر بلى أنا حر.

وربما إحساسه هنا بالحرية في هذه الكلمة قوي جداً في تأكيده لنفسه بأنه حر إلاّ أن مفهومه لمعنى الحرية جاء هنا مغالطاً و مختلفاً مع كل معاني الحرية فهو يقول :" أنه حر يفعل ما يشاء " . نعم أنهّ حر . و لكن عندما يفعل الإنسان ما يشاء بالطريقة التي يشاء و يهوى و في الوقت الذي يشاء لا يستطيع أن يقول أن هذا هو المفهوم الصحيح لمعنى الحرية .

نعم نحن نطمع إلى الحرية و إلى فعل كل ما تصبو إليه نفوسنا و كلّ ما نتمناه في الوقت الذي نشاء و بالكيفية التي نراها. إلاّ إنّنا لو فعلنا ذلك لأصبح ذلك ضربا من الفوضى لأن حرية أي إنسان تنتهي بمجرد أن تهدد حرية الآخرين أنا حر بشرط أن حريتي هذه لا تهدد حرية الآخرين .

فالكاتب هنا يوظف ثقافته في الفلسفة وعلم النفس ليوضح بعض جوانب الحرية التي يراها . فهو يقول : " غير مذعن لقوة أو خاضع لعله لسبب خارجي أو باعث باطني " فالكاتب يشير إلى الدوافع النفسية التي تكبد الإنسان و تحد من حريته , و صاحبنا متحلل منها تماماً سواء كانت دوافع و أسباباً خارجية واضحة أم عقداً نفسية مدفونة داخل النفس الإنسانية".

يريد الكاتب أن يقنعنا بأن صاحبنا لا يعاني من أي نوع من أنواع الضغوط.

فهو كما يقول إنسان حر . و إن ما يحرك هذا الإنسان هو إرادته و إرادته فقط هي التي تحركه فهو قد تخلص من كلّ العلل التي قد تثقل على الإنسان و تسلب حريته و إرادته فهو يقول : " حل مسألة الإرادة في ثانية واحدة, و انقدها بحماس فائق من وطأة العلل" ، و حديثنا عن الحرية يطول فالكاتب حينما يخلط هذا الخلط الواضح بين معنى الحرية و معنى الفوضى إنما هو هنا يريد أن يؤكد هذا الجنون الذي أصاب صاحبنا حتى أنّه لم يعد يميز بين الحرية و بين الفوضى . و ربما أراد الكاتب أن يوضح لكثيرين من الذّين يطلقون كلمة الحرية على تصرفاتهم الجنونية بأن هذه ليست حرية و إنما هي "همس من الجنون " يريد أن يقول لكل من يسيء استخدام حريته بأن هناك فرقاً كبيراً بين " الحرية و بين " الجنون" و إن من يسير في الشارع و يفعل ما يريد دون أن يعمل اعتباراً للآخرين و إنّما هو إنسان مجنون أصابه همس من الجنون . و إن من يقوم بفعل أشياء ليس لها أي سبب كما فعل صاحبنا عندما توقف عن السير فجاءة و هو يقول لنفسه "هانذا أقف لغير ما سبب".

إنما يدعو كل النّاس للعجب من هذا التصرف. وأن على كل إنسان أن يكون عارفاً فاهماً لكل حركة يقوم بها. لأن عكس هذا الكلام هو الجنون. (الجنون الحقيقي) (الجنون المطلق).

قائمة المصادر والمراجع

(1) ابن منظور , لسان العرب , مادة (ج ن ن) ط1 , ج2, بيروت: دارصادر ,1990م , والنجد في اللغة والأعلام ,ط43 ,بيروت : دار المشرق , مادة (ج ن ن) ص 102 .

(2) محمّد عزّام، "شعريّة الخطاب السّردي"، ص 89.

(3) انظر: محمّد عزّام، "شعريّة الخطاب السّردي"، ص 90.

(4) نفسه، ص 90.

(5) نفسه، ص 90.

(6) انظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 201.

(7) تزيفتان تودوروف، الأدب والدّلالة، ترجمة: محمّد نديم خشبة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996م، ص 78 ، وانظر: أيضا: مقال " اللغة والأدب " لتزيفتان تودوروف، ضمن كتاب " اللغة والخطاب الأدبي "، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط 1، 1993م، ص 51.

(8) الأدب والدلالة، ص 78. وانظر: أيضا: مقال " اللغة والأدب " لتزيفتان تودوروف، ضمن كتاب " اللغة والخطاب الأدبي "، ص 51.

(9) انظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 201.

(10) انظر:محمّد عزّام، تحليل الخطاب الأدبي، ص 335.

(11) الأدب والدلالة، ص 79. وانظر: أيضا: مقال " اللغة والأدب " لتزيفتان تودوروف، ضمن كتاب " اللغة والخطاب الأدبي "، ص 51.

(12) انظر: محمّد عزّام، تحليل الخطاب الأدبي، ص 335.

(13) هذا النّص مقتبس من كتاب " مقامات الحريري: حجاجية السّرد والنّسق الثقافي "، للدكتور علي فرحان، من ص 45 – ص48 (تحت الطبع)

(14) لسان العرب :

(15) البلاغة و الأسلوبية : هنريش بليث

(16) الأسلوبية: الهادي الجطلاوي

(17) وليد نجار ' قضايا الرد عند نجيب محفوظ' ط بيروت :دار الكتاب اللبناني ' 1985م

نجيب محفوظ ' أتحدث إليكم : ط1 ' بيروت : دار العودة , 1977م